

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٧) [البقرة: 7]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُدًى لِلنَّاسِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ قَوْمٍ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهُدَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَنْذَرُوا أَوْ لَمْ يُنْذَرُوا؛ عَلَّلَ سَبَبَ عَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً ﴾^(١)، وَلَمَّا كَانَ قَدْ سَوَّى بَيْنَ الْإِنْذَارِ وَعَدَمِهِ؛ كَانَ الْأَنْسَبُ الْبَدَأُ بِالْقُلُوبِ؛ لِتَسْوِيَتِهِمْ بِالْبَهَائِمِ، فَكَلَاهُمَا لَا يَفْقَهُ، ثُمَّ تَنَّى بِالسَّمْعِ لِعُمُومِهِ، وَثَلَّثَ بِالْبَصَرِ لَخُصُوصِهِ بِأَحْوَالِ الضِّيَاءِ؛ لِحَطِّهِمْ عَنْ رُتْبَةِ الْبَهَائِمِ.

ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ أَوْصَافَهُمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا مَعَ هُدَى الْقُرْآنِ؛ ذَكَرَ مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢)، فَهَذِهِ الْفَاصِلَةُ تَعْلِيلٌ لِفَاصِلَةِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، فَالَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، كَمَا أَنَّ صَدْرَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ تَعْلِيلٌ لِفَاصِلَةِ الْآيَةِ الْأُولَى، فَاجْتَمَعَ فِي فَاصِلَةِ الْآيَةِ الْأُولَى كَوْنُهَا عِلَّةٌ وَنَتِيجَةٌ لَتَعْلِيلٍ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ التَّنَاسُبِ فِي الْقُرْآنِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَعْلِيلٌ لِمَا فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ^(٣).

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿ خَتَمَ ﴾: فَعْلٌ مَاضٍ مِنَ الْخَتْمِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الطَّبْعِ، يُقَالُ: خَتَمَ يَخْتِمُ خَتْمًا⁽³⁾.

وَالْأَصْلُ فِي الْخَتْمِ: بُلُوغُ آخِرِ الشَّيْءِ⁽⁴⁾، وَمِنْهُ الْخَاتَمُ: وَهُوَ الْآخِرُ⁽⁵⁾، يُقَالُ: خَتَمَ الْكِتَابَ: لَأَخِرِ مَا يُعْمَلُ مِنْهُ: وَهُوَ طَبْعُهُ بِالْخَاتَمِ عَلَى طِينِهِ⁽⁶⁾.

(1) البقاعي، نَظْمُ الدُّرَرِ: 1/97.

(2) السَّمْعَائِي، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ: 1/46، وَالْقَاسِمِي، مُحَاسِنُ التَّأْوِيلِ: 1/246.

(3) إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ، غَرِيبُ الْحَدِيثِ: 2/557.

(4) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (خَتَم).

(5) الْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ: (خَتَم).

(6) إِبْرَاهِيمُ الْحَرَبِيُّ، غَرِيبُ الْحَدِيثِ: 2/557.

وَالْخَتَمَ: تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ وَالِاسْتِثْنَاءُ مِنْ أَنَّ لَا يَدْخُلُهُ شَيْءٌ، وَمِنْهُ: الْخَتَمُ عَلَى الْقَلْبِ؛ وَهُوَ: أَنْ لَا يَفْهَمَ شَيْئًا وَلَا يَدْخُلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، كَأَنَّهُ طُبِعَ⁽¹⁾.

وجعل ابنُ عاشور الأصلَ في الخَتَمِ: أَنَّهُ "السَّدُّ عَلَى الْإِنَاءِ، وَالغَلْقُ عَلَى الْكِتَابِ بِطَيْنٍ وَنَحْوِهِ، مَعَ وَضْعِ عِلَامَةٍ مَرْسُومَةٍ فِي خَاتَمٍ؛ لِيَمْنَعَ ذَلِكَ مِنْ فَتْحِ الْمَخْتُومِ، فَإِذَا فُتِحَ؛ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ فُتِحَ؛ لِفَسَادِ يَظْهَرُ فِي أَثَرِ النَّقْشِ.... وَأَمَّا تَسْمِيَةُ الْبُلُوغِ لِآخِرِ الشَّيْءِ خَتَمًا؛ فَلِأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ أَوْ ذَلِكَ الْوَقْتَ هُوَ ظَرْفُ وَضْعِ الْخَتَمِ، فَيُسَمَّى بِهِ مَجَازًا"⁽²⁾.

وَالظَّاهِرُ الْأَوَّلُ؛ وَأَنَّ الْخَتَمَ بِمَعْنَى السَّدِّ عَلَى الْإِنَاءِ رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى بُلُوغِ الشَّيْءِ لَا الْعَكْسُ، فَالطَّبْعُ بِالْخَاتَمِ سُمِّيَ خَتَمًا؛ لِكُونِ الطَّبْعِ يَكُونُ عِنْدَ بُلُوغِ الْكِتَابِ آخِرَةً. و﴿خَتَمَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بِمَعْنَى: طَبَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا وَأَقْفَلَهَا، فَلَيْسَتْ تَعْيِيرًا خَيْرًا.

(2) ﴿قُلُوبِهِمْ﴾: الْقُلُوبُ: جَمْعُ قَلْبٍ، وَقَلْبٌ كُلُّ شَيْءٍ: أَفْضَلُهُ وَأَخْلَصُهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ قَلْبًا⁽³⁾؛ لِأَنَّهُ أَخْلَصَ شَيْءٌ فِيهِ وَأَشْرَفُهُ وَأَرْفَعُهُ⁽⁴⁾.

وَتَقُولُ الْعَرَبُ: جِئْتُكَ بِهَذَا الْأَمْرِ قَلْبًا، أَيْ: مَحْضًا لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ⁽⁵⁾.

وَقِيلَ: سُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا؛ لِتَقَلُّبِهِ وَكَثْرَةِ تَغْيِيرِهِ⁽⁶⁾، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ⁽⁷⁾:

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ *** وَالرَّأْيُ يَصْرِفُ بِالْإِنْسَانِ أَطْوَارًا

وَيَرِدُ الْقَلْبُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَيُرَادُ بِهِ: الْقُوَّةُ الْبَاطِنَةُ؛ وَهِيَ الْعَقْلُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [اق: 37] أَيْ: عَقْلٌ أَوْ تَفْهَمٌ وَتَدَبُّرٌ، وَهَذَا الْإِطْلَاقُ هُوَ الْغَالِبُ.

وَلَمْ يَرِدِ الْقَلْبُ بِالْمَعْنَى الْآخِرِ وَهُوَ الْعُضْوُ الْمَعْرُوفُ إِلَّا فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ

(1) ابْنُ سَيِّدِهِ، الْمُخْتَمُ وَالْحَيْطُ الْأَعْظَمُ، وَالزَّبِيدِي، تَاجُ الْعُرُوسِ: (خَتَم).

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/254.

(3) نَشْوَانُ الْجَمِيرِيِّ، شَمْسُ الْعُلُومِ: (قَلْب).

(4) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ: (قَلْب).

(5) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ: (قَلْب).

(6) الْأَنْبَارِيُّ، الرَّاهِرُ: 2/373.

(7) هُوَ عِنْدَ الْأَزْهَرِيِّ فِي تَهْذِيبِ اللَّغَةِ: (قَلْب)، بِلَا نَسْبَةٍ.

فحسب⁽¹⁾، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: 4] وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10]، وقوله تعالى: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: 18].

(3) ﴿غِشَاوَةٌ﴾: المعنى الذي تدور عليه مادة الغين والشين والحرف المعتل هو: تغطية الشيء بكثيف يعُمُّه، ومنه تسمية يوم القيامة غاشية؛ لأنَّ القيامة تُعَمُّ الخلق⁽²⁾. و(غِشَاوَةٌ) على زنة فعالة، وهي من الأوزان الدالة على اشتغال على شيء؛ مثل: العِمَامَةِ والعِصَابَةِ والقِلَادَةِ، ومثلها: أَسْمَاءُ الصَّنَاعَاتِ؛ لكون الصَّنَاعَةِ مُشْتَمِلَةً على كلِّ ما فيها، نحو: الخِياطَةِ، والحِياكَةِ⁽³⁾.

والغِشَاءُ: الغطاء، وكذلك الغِشَاوَةُ⁽⁴⁾؛ ومنه قول الحارث بن خالد المَحْزُومِيِّ⁽⁵⁾:
صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ *** فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي الْوُمَهَا
وهو من قولك: غَشِيتُ الشيء؛ إِذَا غَطَّيْتَهُ، ومثله: أَغَشَى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾
فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ [يس: 9].

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تحكي الآية الكريمة الأسباب الحائلة والموانع الكامنة بين الكافرين ونور الحق المبين، وتشير إلى جملة من العقوبات الإلهية التي حلت بهم جراء عنادهم وكذبهم، فمن ذلك أن طبع الله على قلوبهم فأغلقها على ما فيها من باطل، وطبع على سمعهم فلا يسمعون الحق سماع قبول وانقياد، وجعل على أبصارهم غطاء فلا يبصرون الحق مع وضوحه، وهذه عقوبات معجلة لهم في الدنيا، ولهم عقوبات مؤجلة إلى يوم القيامة، إذ ينتظرهم العذاب المقيم والنكال العظيم في نار الجحيم⁽⁶⁾.

(1) جبل، العجم الاشتقاقِيّ للؤْصَل: (قلب).

(2) جبل، العجم الاشتقاقِيّ للؤْصَل: (غشوي).

(3) النَّحَاس، إعراب القرآن: 1/29، والأزهرِيّ، تهذيب اللُّغة: (غشو).

(4) أبو عُبيد الهرويّ، الغريبين في القرآن والحديث: 4/1376.

(5) ابن منظور، لسان العرب: (غشو).

(6) الغُلَيْمِيّ، فتح الرحمن: 1/56، والنَّسْفِيّطِيّ، العذب الثَّمِير: 1/222، والسَّعْدِيّ، تيسير الكريم الرَّحْمَن، ص: 41، ونخبة من أساتذة

التفسير، التفسير للبشر، ص: 3.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

تَرَكَ عَطْفَ الْجُمْلَةِ عَمَّا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا مِنْ شِبْهِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ:

تَرَكَ عَطْفَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ على ما قبله؛
لأنَّه استتَنَفَّ بَيَانِيٍّ - وهو المسمَّى عند البلاغيين: شِبْهَ كَمَالِ
الْإِتِّصَالِ-، وَقَدْ وَرَدَ جَوَابًا عَنْ سَوْأَلٍ مُقَدَّرٍ نَشَأَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ كَأَنَّهُ
قِيلَ: لَمْ أَسْتَوِ لَدَيْهِمْ الْإِنذَارُ وَعَدْمُهُ؛ فِجَاءَ الْجَوَابِ: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى
قُلُوبِهِمْ﴾⁽¹⁾؛ لِدَفْعِ تَعْجَبِ الْمُتَعَجِّبِينَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ عَدَمِ نَفُوذِ الْإِيمَانِ
إِلَى قُلُوبِهِمْ مَعَ وَضُوحِ أدَلَّتِهِ⁽²⁾.

نَكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِمُفْرَدَةِ (الْحَتْمِ) وَأَثَرُهَا الْمَجَازِيُّ:

المرادُ بنوعِ الحَتْمِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: هو
الحَتْمُ المَجَازِيُّ؛ وَذَلِكَ بِأَنِّ جُعِلَتْ قُلُوبُهُمْ فِي عَدَمِ نَفُوذِ الْحَقِّ إِلَيْهَا،
وَجُعِلَتْ أَسْمَاعُهُمْ فِي صَمَمِهَا عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالآيَاتِ، بِمَنْزِلَةِ مَا أَحْكَمَ
إِغْلَاقَهُ، وَذَلِكَ لَهُ ثَلَاثَةُ مَسَالِكَ⁽³⁾:

أحدهما: أَنَّهُ شِبْهُ عَدَمِ حَصُولِ النَّفْعِ مِنَ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ بِالْحَتْمِ، عَلَى طَرِيقَةِ
الِاسْتِعَارَةِ التَّصْرِيجِيَّةِ⁽⁴⁾، ثُمَّ اشْتُقَّ مِنَ الْحَتْمِ بِالْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ الْفِعْلُ (حَتَّمَ) عَلَى سَبِيلِ
الِاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ⁽⁵⁾.

والثَّانِي: أَنَّهُ قَدْ شُبِّهَتِ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ تَصْمِيمِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَإِمْسَاكِهِمْ عَنِ
التَّأَمُّلِ فِي أدَلَّةِ الْإِيمَانِ وَعَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ بِسَمَاعِ الْحَقِّ بِهَيْئَةِ الْحَتْمِ؛ فَيَكُونُ مِنَ الْاسْتِعَارَةِ
الْتَّمِثِيَّةِ⁽⁶⁾.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/46، والخفاجي، غنابة القاضي: 1/277.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/254.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/245-255.

(4) الاستِعَارَةُ: هِيَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ، لِعَلَّاقَةِ الشَّابِهِةِ، مَعَ قَرِينَةٍ مُنَاعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ، وَالتَّصْرِيجِيَّةُ مِنْهَا: هِيَ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا لَفْظُ الْمَشَبِّهِ بِهِ، الْعُلُوي، يَنْظُرُ: الْعُلُوي، الْإِيجَازُ، ص: 361.

(5) الْإِسْتِعَارَةُ التَّبَعِيَّةُ: هِيَ الْإِسْتِعَارَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا اللَّفْظُ الْمُسْتَعَارُ مُشْتَقًّا أَوْ خَرْفًا، يَنْظُرُ: أَحْمَدُ الْهَاشِمِيُّ، جَوَاهِرُ الْبَلَاغَةِ، ص: 264.

(6) الْإِسْتِعَارَةُ التَّمْثِيلِيَّةُ: اللَّفْظُ الْمَرْكَبُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ، لِعَلَّاقَةِ الشَّابِهِةِ، مَعَ قَرِينَةٍ مُنَاعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ، يَنْظُرُ:

لِلرَّاعِي، عُلُومُ الْبَلَاغَةِ، ص: 286-287.

والتَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ قَدْ عُبِّرَ عَنْ عَدَمِ نَفُوذِ الْحَقِّ إِلَى أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ بِالْخَتْمِ؛ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَلْزُومِ وَإِرَادَةِ لَزِمِهِ، فَيَكُونُ مَجَازًا مُرْسَلًا⁽¹⁾ بِعِلَاقَةِ الْمَلْزُومِيَّةِ.

وَأَفَادَ هَذَا التَّنَوُّعُ الْبَيَانِيَّ الْكَشْفَ عَنْ تَمَكُّنِ الْكُفْرِ بِأَسْلُوبٍ مُتَعَدِّدٍ الْمَسَالِكِ؛ فَمَا غُمُضَ فِي وَجْهِ بَانَ فِي آخَرٍ.

فَائِدَةُ إِسْنَادِ الْخَتْمِ إِلَى اللَّهِ ﷻ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ:

في إسناد الختم
إلى الله تعالى
تهديدًا للكافرين،
وذمًا لهم لأنهم
استحقوا الختم
بسوء فعالهم

إِسْنَادُ الْخَتْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾⁽²⁾ إِسْنَادٌ حَقِيقِيٌّ لَا مَجَازِيٌّ، فَخَتَمَ الْقُلُوبَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ ﷻ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَفَائِدَةُ الْقَوْلِ بِالْإِسْنَادِ الْحَقِيقِيِّ مَزِيدُ التَّرْهِيْبِ وَالتَّهْدِيدِ، فَإِسْنَادُ الْخَتْمِ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِاعْتِبَارِ إِيجَادِهِ وَخَلْقِهِ، وَأَمَّا الذَّمُّ فَبِاعْتِبَارِ كَوْنِ الْخَتْمِ مُسَبِّبًا عَنْ عِنَادِهِمْ وَرُدِّهِمُ الْحَقَّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ⁽²⁾.

دَلَالَةُ حَرْفِ الْجَرِّ ﴿عَلَى﴾:

تمكّن الختم من
قلوب الكافرين

﴿خَتَمَ﴾ فَعْلٌ مُتَعَدٍّ؛ وَهُوَ مِنْ بَابِ (ضَرَبَ)، وَعُدِّيٌّ بِالْحَرْفِ (عَلَى) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؛ لِلْإِيْمَاءِ بِاسْتِعْلَاءِ الْخَتْمِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَتَمَكُّنِهِ مِنْهَا.

نُكْتَةُ تَكَرَّرِ حَرْفِ الْإِسْتِعْلَاءِ ﴿عَلَى﴾:

التنبيه على
تغاير الختمين؛
فالتكرار أظهر في
الاستقلال

كُرِّرَ حَرْفُ الْجَرِّ (عَلَى) فِي قَوْلِهِ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ الْخَتْمِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى تَغَايُرِ الْخَتْمَيْنِ؛ فَخَتَمُ الْقُلُوبِ غَيْرُ خَتَمِ الْأَسْمَاعِ⁽³⁾، وَالتَّكَرُّارُ أَظْهَرُ فِي الْإِسْتِقْلَالِ؛ فَكَأَنَّ كُلَّ خَتْمٍ مُسْتَقِلٌّ بِرَأْسِهِ؛ إِذْ إِنَّ "إِعَادَةَ الْجَارِ" تَقْتَضِي مَلَا حِظَةً مَعْنَى الْفِعْلِ الْمُعْدَى بِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ ذُكِرَ مَرَّتَيْنِ⁽⁴⁾.

(1) الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ: هُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ، لِعِلَاقَةِ غَيْرِ الْمُشَابَهَةِ، مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ، يَنْظُرُ: الْعُلُوِّي، الْإِبْجَاز، ص: 301.

(2) الْأَلُوسِي، رُوحُ الْعَالِي: 1/135.

(3) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 1/52، وَابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/258.

(4) الْأَلُوسِي، رُوحُ الْعَالِي: 1/138.

تَقْدِيمُ الْقَلْبِ عَلَى السَّمْعِ مِنْ قِبَلِ تَقْدِيمِ الْغَايَةِ عَلَى الْوَسِيلَةِ:

قَدِّمَتِ الْآيَةُ الْقَلْبَ عَلَى السَّمْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؛
لأنَّ الْآيَةَ مَسْوْقَةٌ لِبَيَانِ عَدَمِ إِيْمَانِهِمْ؛ فَنَاسَبَ ذَلِكَ أَنْ يُبْدَأَ بِالْقُلُوبِ؛
إِذْ هِيَ مَحَلُّ الْإِيْمَانِ فِي الْأَصْلِ، وَالسَّمْعُ وَسِيلَةٌ مُوَصِّلَةٌ لِلْغَايَةِ، فَكَانَ
التَّقْدِيمُ مِنْ قِبَلِ تَقْدِيمِ الْغَايَةِ عَلَى الْوَسِيلَةِ.

تَوْجِيهٌ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، تشابهت ألفاظ هذه الآية
وآية الْجَاثِيَةِ: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ [الْجَاثِيَةِ: 23]؛ ففِي آيَةِ الْجَاثِيَةِ
قُدِّمَ ذِكْرُ السَّمْعِ، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى اخْتِلَافِ السِّيَاقِ؛ فَإِنَّ سِيَاقَ آيَةِ
الْجَاثِيَةِ يَتَحَدَّثُ عَنْ اتِّخَاذِ إِلَهٍ هَوَاهُ، فَضَلَّ عَنْ عِلْمٍ، وَأَدَاةَ تَحْصِيلِ
الْعِلْمِ السَّمْعُ، فَلَمَّا أَهْمَلَ هَذِهِ الْأَدَاةَ؛ اسْتَحَقَّ أَنْ يُعَاقَبَ بِسَبَبِ
إِهْمَالِهِ، وَكَذَلِكَ سَيَقَتْ لِبَيَانِ عَدَمِ مُبَالَاةِ الْكُفَّارِ بِالْمَوَاعِظِ، وَأَوَّلُ مَا
تُبَاشِرُهُ الْمَوْعِظَةُ مِنَ الْجَوَارِحِ هُوَ السَّمْعُ؛ فَنَاسَبَ ذَلِكَ تَقْدِيمُهُ⁽¹⁾،
وَأَمَّا سِيَاقُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فَهُوَ حَدِيثٌ عَنِ الْكَافِرِينَ بِاعْتِبَارِ إِصْرَارِهِمْ
عَلَى الْكُفْرِ، وَمَوْطِنُ ذَلِكَ الْقَلْبُ؛ فَلِذَلِكَ قُدِّمَ ذِكْرُهُ.

تَقْدِيمُ السَّمْعِ عَلَى الْبَصَرِ؛ لِقُوَّةِ إِدْرَاكِهِ:

قُدِّمَ السَّمْعُ عَلَى الْبَصَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى
سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةً﴾؛ لِكُونِ الْآيَةِ سَيَقَتْ لِبَيَانِ إِعْرَاضِ
الْكَفَّارِ عَنِ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ يُبَلِّغُهُ الْأَنْبِيَاءُ إِلَى أَقْوَامِهِمْ، وَوَسِيلَةُ إِدْرَاكِ
ذَلِكَ السَّمْعُ، وَلِكُونِ الْإِدْرَاكِ بِالسَّمْعِ أَقْوَى مِنَ الْإِدْرَاكِ بِالْبَصَرِ؛
لِكُونِ السَّمْعِ يُدْرِكُ الْأَصْوَاتَ الْمَسْمُوعَةَ مِنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ دُونَ
تَوَجُّهِهِ، بِخِلَافِ الْبَصَرِ فَإِنَّ الْإِدْرَاكِ بِهِ مَحْتَاجٌ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى
الشَّيْءِ الْمُرَادِ إِدْرَاكُهُ⁽²⁾.

قُدِّمَ السَّمْعُ
فِي آيَةِ إِهْمَالِ
أَثَرِهِ فِي تَحْصِيلِ
الْعِلْمِ، وَقُدِّمَ
الْقَلْبُ فِي أُخْرَى
لَامْتَنَادِهِ بِالْكَفْرِ

السَّمْعُ يُدْرِكُ
الْمَسْمُوعَاتِ مِنْ
كُلِّ الْجِهَاتِ،
وَالْبَصَرُ يُدْرِكُ
الْمَبْصُرَاتِ بَعْدَ
التَّوَجُّهِ إِلَيْهَا

(1) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَالِي: 137-138.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/258.

نُكْتَةُ إِفْرَادِ السَّمْعِ وَجَمْعِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ:

أَفْرَدَ السَّمْعَ وَجَمِعَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ﴾؛ فَيُسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ، وَالْجَوَابُ أَنَّ السَّمْعَ مَصْدَرٌ لِلْفِعْلِ (سَمِعَ)، وَالْمَصْدَرُ يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ مِنْ جِنْسِهِ؛ وَلِذَا لَا يُجْمَعُ فِي الْأَصْلِ، وَلَمَّا فِي جَمْعِ الْمَصَادِرِ مِنَ الثَّقَلِ غَالِبًا، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: "وَأَمَّا جَمْعُ الْمَصَادِرِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجِيءُ حَسَنًا، وَالْإِفْرَادُ فِيهِ هُوَ الْحَسَنُ"⁽¹⁾.

وَلَأَنَّ السَّمْعَ -وإن كان مفردًا- يَصِحُّ إِطْلَاقُهُ مُرَادًا بِهِ الْجَمْعُ؛ إِذْ إِنَّ كُلَّ اسْمٍ مَفْرَدٍ هُوَ اسْمٌ جَنَسٍ، فإِطْلَاقُ الْمَفْرَدِ مُرَادًا بِهِ الْجَمْعُ هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى أَصْلِهِ الشَّامِلِ لِأَفْرَادِ الْجَنَسِ⁽²⁾.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِفْرَادُ السَّمْعِ لِأَمْنِ اللَّبْسِ؛ لَكُونِهِ وَرَدَ بَيْنَ جَمْعَيْنِ: الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، فَيُعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْجَمْعُ⁽³⁾.

أَمَّا الْقَلْبُ وَالْبَصَرُ؛ فَإِنَّهُمَا اسْمٌ لِلْجَارِحَةِ؛ وَلِذَا صَحَّ جَمْعُهُمَا⁽⁴⁾، وَجَمْعُهُمَا جَارٍ عَلَى الْأَصْلِ؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ جَمْعٌ؛ فَنَاسَبَ أَنْ تُذَكَّرَ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ بِصِغَةِ الْجَمْعِ؛ لِيُرَدَّ كُلُّ قَلْبٍ وَبَصَرٍ لِصَاحِبِهِ، عَلَى قَاعِدَةٍ أَنَّ مَقَابَلَةَ الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ تَقْتَضِي الْقِسْمَةَ أَحَادًا، أَوْ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَسْتَعْنِي عَنْ جَمْعِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ عَنْ جَمْعِ الْمُضَافِ⁽⁵⁾.

فإِفْرَادُ السَّمْعِ وَجَمْعُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ، وَنُكْتَةُ مُجِيبُهُ عَلَى الْأَصْلِ، هُوَ أَنَّ الْقُلُوبَ مُخْتَلَفَةٌ فِي تَفَكُّرِهَا فِي الْإِيمَانِ؛ إِذْ لِكُلِّ حَظٍّ مِنْ الْإِدْرَاكِ.

(1) ابن الأثير، اللؤلؤ السائر: 1/280.

(2) السَّنْقِيطِيُّ، الْعَذْبُ النَّبِيرُ: 1/268.

(3) ابن عرفة، تَفْسِيرُ ابْنِ عَرَفَةَ: 1/48.

(4) ابن عرفة، تَفْسِيرُ ابْنِ عَرَفَةَ: 2/343.

(5) الْجَرَجَانِيُّ، دَرَجُ الدَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالشُّوَرِ: 1/101.

تفاوتت القلوب
بتفاوت كفرها،
واستواء
المسموعات في
الأذن

القلب والبصر
جارحتان فصح
جمعهما،
والسمع مصدر
وجمع المصدر
غير مُحْبَذ

والأبصارُ متفاوتةٌ التعلُّقُ بالمرئيات التي فيها أدلةُ الوجدانية،
فلكل نصيبه من هذا النوع من النظر.

بخلاف الأسماع؛ فإن متعلّقها سماعٌ ما يُلقى إليها من الوحي؛
”فالجَماعاتُ إذا سَمِعُوا القرآنَ سَمِعُوهُ سَماعاً مُتساوياً، وإنّما
يتفاوتون في تدبُّره، والتدبُّر من عمل العقول، فلمّا اتّحد تعلّقها
بالمسمُوعات؛ جُعِلَت سَمعاً واحداً“⁽¹⁾.

فائدة التعبير بالجملة الفعلية والاسمية:

جاء التعبير عن ختم القلوب والسمع بالجملة الفعلية في قوله
تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾؛ للدلالة على التجدد؛ فإنّ
السمع يتجدّد بتجدّد سماع القرآن، وعبر عن غشاوة الأبصار بالجملة
الاسمية؛ للدلالة على الثبوت، فالمبصّرات مرئيةٌ مشاهدةٌ على الدوام،
حتى كأنّ الغشاوة أمرٌ جُبِلُوا عَلَيْهِ⁽²⁾، وفائدة ذلك بيان أنّ الختم
مرتبطٌ بعلاقة القلب والسمع بالقرآن، بخلاف البصر؛ ولذلك قال
تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا﴾ [الكهف: 101]، فأعيُنُهُم في غطاءٍ ثابتٍ عن معرفة الأدلة الكونية، ولا
يستطيعون سماع المتجدّد نزوله من الأدلة القرآنية، فما تراه العين
يكون ثابتاً، والمتجدّد هو ما يردّ على القلب من طريق السمع.

اِتِّبَاءُ الْأَلْفَاظِ تَابِعٌ لِدَقَّةِ الْمَعْنَى:

جُعِلَ الختم على القلوب والأسماع، وجُعِلَت الغشاوة على الأبصار
في قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً﴾؛
لأنّ القلوب والأسماع يُشَبَّهان الوعاء، فيُتَصَوَّرُ فيهما معنى السدّ
والطّبع، بينما اختصّت الأبصارُ بالغشاوة؛ لأنّها تمنع أصل الرؤية،
وفي ذلك تحقيقٌ لأمرين:

تَجَدُّدُ خَتَمِ
الْقُلُوبِ بِتَجَدُّدِ
نَزُولِ الْقُرْآنِ

تَشْبِيهُ الْقُلُوبِ
وَالْأَسْمَاعِ
بِالْأَوْعِيَةِ يُنَاسِبُهُ
الْخَتْمُ، وَمَلَأَمَةُ
الْغِشَاءِ لِحُجُبِ
الرُّؤْيَةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/256، والقوّجّي، فتح البيان: 1/89.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/139.

أَحَدُهُمَا: حجب الرؤية المؤدية إلى الإيمان، لا عموم الرؤية.

والآخر: أن هذه طريقة القرآن في ذكر الأسماء والأبصار، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: 101]، فالأعين في غطاءٍ عن الذكر لا عن مُطلق الرؤية، فالأبصار ترى الآيات الكونية وتستمتع بها دون أن تدرك أنها مخلوقة لتتقود إلى الإيمان بالله تعالى، وهذا معنى قول الجرجاني بأنها "تمنع رؤية الاعتبار لا رؤية الاختيار"⁽¹⁾.

بلاغة الاستعارة التمثيلية في الكشف عن المعاني العقلية:

عدم تأملهم في
دلائل التوحيد
غطى أعينهم
وحجبهم عن
الحق

في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ استعارة تمثيلية؛ حيث شُبِّهَتْ "هيئة متخيلة في أبصارهم من عدم التأمل في الوجدانية وصدق الرسول، بهيئة الغشاوة"⁽²⁾، وهو من تمثيل المعقول بالمحسوس، حيث إن عدم تأملهم أو إعراضهم حجبهم عن اتباع الحق ونظر الاعتبار، كما تمنع الغشاوة الحسية العين من نظر الاختيار.

تكبير كلمة ﴿غِشَاوَةٌ﴾ يُفيد نوعاً لا يعرفه المخاطبون:

المراد بالغشاوة
غطاء التعامي
عن آيات الله

مجيء ﴿غِشَاوَةٌ﴾ نكرة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾؛ لبيان النوعية، والمعنى: «أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية غير ما يتعارفه الناس؛ وهو غطاء التعامي عن آيات الله»⁽³⁾، وهذا المعنى مأخوذ من السياق، إذ إن المخاطبين لا يعرفون هذا النوع من الغشاوة إلا من طريق القرآن.

بلاغة تنويع التكرير في كلمة ﴿عَذَابٌ﴾:

دلالة النوع
والتعظيم
مرادتان وضعاً
وسياًفاً في لفظ
(عذاب)

يَحْتَمِلُ أن يكون معنى التكرير في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ لبيان النوع، أي: لهم نوع خاص من العذاب لم يعهده الناس، وفائدته

(1) الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والشور: 1/102.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/255.

(3) الزمخشري، الكشاف: 1/53.

التَّهْلِيلُ والتَّهْوِيلُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَكْيِيدُهُ لِلتَّعْظِيمِ، وَاسْتَشْكَلَهُ ابْنُ
عاشور بِأَنَّ دَلَالَةَ التَّنْكِيرِ عَلَى التَّعْظِيمِ تَكُونُ بِالْفَحْوَى، وَمَا دُلَّ عَلَيْهِ
بِالْفَحْوَى يُسْتَفْنَى عَنْهُ إِذَا جَاءَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْوَضْعِ، وَهُوَ وَصَفُ
العَذَابِ بِأَنَّهُ «عَظِيمٌ»، فَدَلَالَةُ الْوَضْعِ عَلَى الْعِظَمَةِ دَلَالَةٌ وَضْعِيَّةٌ
تُغْنِي عَنْ اسْتِفَادَةِ التَّعْظِيمِ مِنَ التَّنْكِيرِ (1).

وَالصَّحِيحُ الْوَجْهِ أَنْ دَلَالَةَ التَّنْكِيرِ عَلَى النَّوعِيَّةِ مُسْتَلْزِمَةٌ الْقَوْلِ
بِالتَّعْظِيمِ؛ إِذِ الْمَقْصُودُ بِالنَّوعِيَّةِ: أَنَّ لَهُمْ نَوْعًا مِنَ الْعَذَابِ لَا يَعْلَمُ
حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ (2)، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي إِفَادَتِهِ التَّعْظِيمِ، وَيَكُونُ وَصْفُ
العَذَابِ بِالْعِظَمَةِ بِمَنْزِلَةِ التَّوَكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ لَهُ.

تَأْخِيرُ الْمَبْتَدَأِ لِإِفَادَةِ الْقَصْرِ:

أَخَّرَ الْمَبْتَدَأُ فِي قَوْلِهِ: «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»؛ لِإِفَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ،
وَالْإِيْمَاءِ إِلَى أَنَّهُمُ الْأَحْقَاءُ بِالْعَذَابِ الْعَظِيمِ؛ وَذَلِكَ لِاِخْتِصَاصِهِمْ
بِعِظَمِ الْجُرْمِ وَهُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (3).
فَذَلِكَ النَّوعُ الَّذِي لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ مِنَ الْعَذَابِ مُخْتَصٌّ بِهِمْ، أَمَّا مَنْ
دُونَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي فَهُمْ مُتَوَعَّدُونَ بِعَذَابٍ دُونَ عَذَابِ الْكَافِرِينَ.

مُنَاسَبَةٌ
اِخْتِصَاصِ
الْكُفَّارِ بِالْعَذَابِ
الْعَظِيمِ لِجُرْمِهِمْ

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

خَتَمَ وَطَبَعَ:

تَعَدَّدَتْ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَتَمِ وَالطَّبَعِ، وَأَشْهَرُهَا قَوْلَانِ:
الْأَوَّلُ: التَّرَادُفُ؛ وَأَنَّ الْخَتَمَ وَالطَّبَعَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ وَأَنَّهُمَا سِمَةٌ وَعِلَامَةٌ فِي قَلْبِ الْمَطْبُوعِ
عَلَى قَلْبِهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ كَلَامِ ابْنِ عَاشُور فِي مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ تَفْسِيرِهِ (4).
الْآخَرُ: التَّبَايُنُ؛ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الطَّبَعَ فِيهِ مَعْنَى الثَّبَاتِ؛ إِذْ هُوَ أَثَرٌ يَتَبَيَّنُ فِي الْمَطْبُوعِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/258.

(2) الرَّمْخَشَرِي، الْكُشَافُ: 1/53.

(3) إِسْمَاعِيلُ حَقِّي، رُوحُ الْبَيَانِ: 5/84.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/199، 1/255، 10/289، 24/144.

التَّحَارُّبُ فِي الدَّلَالَةِ إِذَا كَانَا فِعْلَيْنِ

وَيَلَزَمُهُ، فهو يُفِيد من اللُّزوم والتَّبَاتِ ما لا يُفِيدُه الخَتَمُ، ولذا يقال: طَبَعَ الدَّرَاهِمَ؛ وهو إحداثُ أثرٍ فيها لا يزولُ، وَمِنْهُ: طَبَعَ الإنسانُ⁽¹⁾، وبناءً على هذا؛ فالطَّبَعَ أقوى من الخَتَمِ، ويؤيِّدُهُ أَنَّ مشتقات الخَتَمِ وردت في القرآن الكريم في جانب الخير والشرِّ، بخلاف الطَّبَعَ فَلَمْ يَرِدْ إِلَّا مرادًا به الشرُّ والذَّمُّ.

وما تقدَّم من الخلافِ إنَّما هو في حالِ كَوْنِ الكَلِمَتَيْنِ اسمَيْنِ، أمَّا إذا جاء الخَتَمُ والطَّبَعَ فِعْلَيْنِ؛ فَإِنَّ دلالتهما تكادُ تكونُ متقاربةً⁽²⁾.

الْقُلُوبُ وَالْأَفئِدَةُ:

وَرَدَ في القَامُوسِ أَنَّ القلبَ هُوَ الْفُؤَادُ، أو أَخْصَصُ مِنْهُ⁽³⁾، وعلى الثاني: جَعَلَ القرطبيُّ⁽⁴⁾ العقلَ في القلبِ، والقلبَ في الفؤادِ، والفؤادَ في الصِّدرِ، فيكون القلبُ أَخْصَصًا.

والقولُ بترادفهما أَشْبَهُ بِالْغَلَطِ؛ لورود التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا في القرآن والسُّنَّةِ وكلام العربِ، فَمِنْ ذَلِكَ قولُ الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتَشْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ القصص: 10، وقولُ النَّبِيِّ ﷺ: «اتَّكُمُ أَهْلَ الْيَمَنِ، هُمْ أَلَيْنُ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفئِدَةً»⁽⁵⁾، وقولُ ذِي الرُّمَّةِ⁽⁶⁾:

وَأَنْتَ مِنْ حُبِّ مَيِّ مُضْمِرٍ حَزَنًا *** عَانِي الْفُؤَادِ قَرِيحُ الْقَلْبِ مَكْظُومٌ

وحكى أبو هلال أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ لا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمَا، ونَقَلَ عن جماعةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ: أَنَّ الْأَفئِدَةَ تُوصَفُ بِالرَّقَّةِ، وَالْقُلُوبُ تُوصَفُ بِاللِّينِ؛ وذلك لِأَنَّ الْفُؤَادَ غِشَاءُ الْقَلْبِ؛ فَإِذَا رَقَّ خَلَصَ الْقَوْلُ إِلَى دَاخِلِهِ، وَإِذَا غُلِظَ فَبِالْعَكْسِ، بخلاف القلبِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ لِينًا وَصَادَفَ شَيْئًا عَلِقَ بِهِ⁽⁷⁾.

وفي كلام بعض أَهْلِ الْعِلْمِ ما يُؤَمِّى إِلَى أَنَّ الْفُؤَادَ أَخْصَصٌ؛ إِذْ إِنَّ الْقَلْبَ يُطَلَقُ عَلَى

(1) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 336.

(2) مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ دَاوُدَ، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 232-233.

(3) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (قلب).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/189.

(5) البخاري، حديث رقم: (4388)، ومسلم، حديث رقم: (52).

(6) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 19/306.

(7) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 433.

العضو المعروف، وعلى القوة الباطنة التي هي محل الإدراك، بخلاف الفؤاد فلم يرد في القرآن إلا "على المعنوي؛ من وضع الشعور والعواطف والعقيدة والأهواء"⁽¹⁾، وفيه نظر⁽²⁾. والأقرب: أن الفؤاد أخص، وهو في القلب لا العكس، كما قال محمد بن كعب القرظي في تفسير قول الله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْجِدَةُ ۖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۖ﴾ [الهمزة: 6-7]: "تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده"⁽³⁾، وقد يستعمل أحدهما موضع الآخر في القرآن الكريم.

(1) بنت الساطئ، التفسير البياني: 178-177/2.

(2) وهو يخالف التفسير المأثور في مواضع، منها في سورة الهَمزة. ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن: 10/3464.

(3) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن: 10/3464.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، للجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 1، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-52-1

يشتمل على إرجاعات بيبليوجرافية.

مج. 1: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغامي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-52-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»